سورة التين

وهي ثمان آيات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝﴾

اعلم أن الإشكال هو أن التين والزيتون ليسا من الأمور الشريفة، فكيف يليق أن يقسم الله تعالى بهما؟ فلأجل هذا السؤال حصل فيه قولان:

الأول: أن المراد من التين والزيتون هذان الشيئان المشهوران، قال ابن عباس: هو تينكم وزيتونكم هذا. **ثم ذكروا من خواص التين والزيتون أشياء:**

أما التين فقالوا: إنه غذاء وفاكهة ودواء، أما كونه غذاء فالأطباء زعموا أنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة، يلين الطبع ويخرج الترشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين، ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال -وهو خير الفواكه وأحمدها، وروى أنه أهدي لرسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه، ثم قال لأصحابه: «كُلُوا فَلَوْ قُلْتُ: إِنَّ فَاكِهَةً نَزَلَتْ مِنَ الْجَنَّةِ لَقُلْتُ هَذِهِ؛ لأَنَّ فَاكِهَةَ الْجَنَّةِ بِلاَ عَجَمٍ، فَكُلُوهَا فَإِنَّهَا تَقْطَعُ الْبَوَاسِيرَ وَتَنْفَعُ مِنَ النِّقْرِسِ» وعن علي بن موسى الرضا عليهما السلام: التين يزيل نكهة الفم، ويطول الشعر، وهو أمان من الفالج. وأما كونه دواء، فلأنه يتداوى به في إخراج فضول البدن.

واعلم أن لها بعدما ذكرنا خواص: أحدها: أن ظاهرها كباطنها، ليست كالجوز ظاهره قشر ولا كالتمر باطنه قشر، بل نقول: إن من الثمار ما يخبث ظاهره ويطيب باطنه، كالجوز والبطيخ، ومنه ما يطيب ظاهره دون باطنه كالتمر والإجاص. أما التين فإنه طيب الظاهر والباطن. **وثانيها:** أن الأشجار ثلاثة: شجرة تعد وتخلف وهي شجرة الخلاف، وثانية تعد وتفي وهي التي تأتي بالنَّوْر أولاً بعده بالثمر كالتفاح وغيره، وشجرة تبذل قبل الوعد، وهي التين لأنها تخرج الثمرة قبل أن تعد بالورد، بل لو غيرت العبارة لقلت: هي شجرة تُظهر المعنى قبل الدعوى، بل لك أن تقول: إنها شجرة تُخرج الثمرة قبل أن تلبس نفسها بورد أو بورق، والتفاح والمشمش وغيرهما تبدأ بنفسها، ثم بغيرها، أما شجرة التين فإنها تهتم بغيرها قبل اهتمامها بنفسها، فسائر الأشجار كأرباب المعاملة في قوله عليه السلام: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ» وشجرة التين كالمصطفى عليه السلام كان يبدأ بغيره فإنْ فَضَل صَرَفه إلى نفسه، بل من الذين أثنى الله عليهم في قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، **وثالثها:** أن من خواص هذه الشجرة أن سائر الأشجار إذا اسقطت الثمرة من موضعها لم تعد في تلك السنة، إلا التين فإنه يعيد البذر

وربما سقط ثم يعود مرة أخرى. **ورابعها:** أن التين في النوم رجل خير غني، فمن نالها في المنام نال مالاً وسعة، ومن أكلها رزقه الله أولادًا. **وخامسها:** روي أن آدم عليه السلام لما عصى وفارقته ثيابه تَسَتَّر بورق التين، وروى أنه لما نزل وكان متزرًا بورق التين استوحش فطاف الظباء حوله فاستأنس بها فأطعمها بعض ورق التين، فرزقها الله الجمال صورة والملاحة معنى وغَيَّر دمها مسكًا، فلما تفرقت الظباء إلى مساكنها رأى غيرها عليها من الجمال ما أعجبها، فلما كانت من الغد جاءت الظباء على أثر الأولى إلى آدم فأطعمها من الورق فغير الله حالها إلى الجمال دون المسك، وذلك لأن الأولى جاءت لآدم لا لأجل الطمع والطائفة الأخرى جاءت للطمع سرًا وإلى آدم ظاهرًا، فلا جرم غير الظاهر دون الباطن.

وأما الزيتون: فشجرته هي الشجرة المباركة، فاكهة من وجه وإدام من وجه ودواء من وجه، وهي في أغلب البلاد لا تحتاج إلى تربية الناس، ثم لا تقتصر منفعتها على غذاء بدنك، بل هي غذاء السراج أيضًا وتولدها في الجبال التي لا توجد فيها شيء من الدهنية البتة، وقيل: من أخذ ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى، وقال مريض لابن سيرين: رأيت في المنام كأنه قيل لي: كل اللامين تُشفَ. فقال: كل الزيتون فإنه لا شرقية ولا غربية. ثم قال المفسرون: التين والزيتون اسم لهذين المأكولين وفيهما هذه المنافع الجليلة، فوجب إجراء اللفظ على الظاهر، والجزم بأن الله تعالى أقسم بهما لما فيهما من هذه المصالح والمنافع.

القول الثاني: أنه ليس المراد هاتين الثمرتين، ثم ذكروا وجوهًا: **أحدها:** قال ابن عباس: هما جبلان من الأرض المقدسة، يقال لهما بالسريانية طور تينًا، وطور زيتا؛ لأنهما منبتا التين والزيتون، فكأنه تعالى أقسم بمنابت الأنبياء، فالجبل المختص بالتين لعيسى عليه السلام، والزيتون: الشأم مبعث أكثر أنبياء بني إسرائيل، والطور مبعث موسى عليه السلام، والبلد الأمين مبعث محمد ﷺ، فيكون المراد من القسم في الحقيقة تعظيم الأنبياء وإعلاء درجاتهم. **وثانيها:** أن المراد من التين والزيتون مسجدان، ثم قال ابن زيد: التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس. وقال آخرون: التين مسجد أصحاب أهل الكهف، والزيتون مسجد إيليا. وعن ابن عباس: التين مسجد نوح المبني على الجودي، والزيتون مسجد بيت المقدس. والقائلون بهذا القول إنما ذهبوا إليه لأن القسم بالمسجد أحسن لأنه موضع العبادة والطاعة، فلما كانت هذه المساجد في هذه المواضع التي يكثر فيها التين والزيتون، لا جرم اكتفى بذكر التين والزيتون **وثالثها:** المراد من التين والزيتون بلدان، فقال كعب: التين دمشق والزيتون بيت المقدس. وقال شهر بن حوْشب: التين الكوفة، والزيتون الشام. وعن الربيع: هما جبلان بين همدان وحلوان. والقائلون بهذا القول إنما ذهبوا إليه لأن اليهود والنصارى والمسلمين ومشركي قريش كل واحد منهم يعظم بلدة من هذه البلاد، فالله تعالى أقسم بهذه البلاد بأسرها، أو يقال: إن دمشق وبيت المقدس فيهما نعم الدنيا، والطور ومكة فيهما نعم الدين.

أما قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ فالمراد من الطور: الجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه، واختلفوا في (سينين) والأَوْلى عند النحويين أن يكون سينين وسينا اسمين للمكان الذي حصل فيه الجبل أو أضيفا إلى ذلك المكان، وأما المفسرون فقال ابن عباس في رواية عكرمة: الطور: الجبل وسينين: الحسن بلغة الحبشة، وقال مجاهد: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ المبارك. وقال الكلبي: هو الجبل المشجر ذو الشجر. وقال مقاتل: كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط قال الواحدي: والأَوْلى أن يكون سينين اسمًا للمكان الذي به الجبل، ثم لذلك سمي سينين أو سينا لحسنه أو لكونه مباركًا، ولا يجوز أن يكون سينين نعتًا للطور لإضافته إليه.

أما قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ فالمراد مكة، والأمين: الآمن، قال صاحب «**الكشاف**»: من أمن الرجل أمانة فهو أمين، وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه، ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل، كما وُصف بالأمن في قوله: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾[العنكبوت: ٦٧] يعني ذا أمن، وذكروا في كونه أمينًا وجوهًا: **أحدها:** أن الله تعالى حفظه عن الفيل، على ما يأتيك شرحه إن شاء الله تعالى. **وثانيها:** أنها تحفظ لك جميع الأشياء فمباح الدم عند الالتجاء إليها آمن من السباع، والصيود تستفيد منها الحفظ عند الالتجاء إليها. **وثالثها:** ما روى أن عمر كان يقبل الحجر ويقول: إنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. فقال له علي عليه السلام: أما أنه يضر وينفع إن الله تعالى لما أخذ على ذرية آدم الميثاق كتبه في رق أبيض، وكان لهذا الركن يومئذٍ لسان وشفتان وعينان، فقال: افتح فاك فألقمه ذلك الرق وقال: تشهد لمن وافاك بالموافاة إلى يوم القيامة. فقال عمر: لا بقيتُ في قوم لست فيهم يا أبا الحسن[1].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾

المراد من الإنسان هذه الماهية، والتقويم تصبير الشيء على ما ينبغي أن يكون في التأليف والتعديل، يقال: قومته تقويمًا فاستقام وتقوَّم، وذكروا في شرح ذلك الحسن وجوهًا: **أحدها:** أنه تعالى خلق كل ذي روح مكبًّا على وجهه إلا الإنسان، فإنه تعالى خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده. وقال الأصم: في أكمل عقل وفهم وأدب وعلم وبيان. والحاصل أن القول الأول راجع إلى الصورة الظاهرة، والثاني إلى السيرة الباطنة، وعن يحيى بن أكثم القاضي أنه فسر التقويم بحسن الصورة، فإنه حكى أن ملك زمانه خلا بزوجته في ليلة مقمرة، فقال: إن لم تكوني أحسن

---

(١) إسناده ضعيف جدًا: الحاكم في (المستدرك) (١/ ٦٢٨) حديث رقم (١٦٨٢) والبيهقي في (شعب الإيمان) (٣/ ٤٥١) حديث رقم (٤٠٤٠) وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٤٢/ ٤٠٥) والأزرقي في (أخبار مكة) (١/ ٤٧١) حديث رقم (٣٩١) جميعًا من طريق عبد العزيز بن عبد الصمد الأعمى عن أبيه عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري... به، وفي إسناده عمارة بن جوين أبو هارون العبدي، قال الحافظ: متروك ومنهم من كَذَّبه.

من القمر فأنت كذا . فأفتى الكل بالحنث إلا يحيى بن أكثم فإنه قال : لا يحنث . فقيل له : خالفت شيوخك : فقال : الفتوى بالعلم ولقد أفتى من هو أعلم منا وهو الله تعالى فإنه يقول : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وكان بعض الصالحين يقول : إلهنا أعطيتنا في الأولى أحسن الأشكال ، فأعطنا في الآخرة أحسن الفعال ، وهو العفو عن الذنوب ، والتجاوز عن العيوب .

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾

فيه وجهان: الأول: قال ابن عباس : يريد أرذل العمر ، وهو مثل قوله : ﴿يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل : ٧٠]، قال ابن قتيبة : السافلون هم الضعفاء والزمنى ، ومن لا يستطيع حيلة ولا يجد سبيلاً ، يقال : سَفَل يَسفَل فهو سافل وهم سافلون ، كما يقال : علا يعلو فهو عالٍ وهم عالون ، أراد أن الهرم يخرف ويضعف سمعه وبصره وعقله وتقلُّ حيلته ويعجز عن عمل الصالحات ، فيكون أسفل الجميع . وقال الفراء : ولو كانت (أسفل سافل) لكان صوابًا ، لأن لفظ الإنسان واحد ، وأنت تقول : (هذا أفضل قائم) ولا تقول : أفضل قائمين ، إلا أنه قيل : (سافلين) على الجمع لأن الإنسان في معنى جمع فهو كقوله : ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر : ٣٣] وقال : ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ [الشورى : ٤٨].

والقول الثاني: ما ذكره مجاهد والحسن : ثم رددناه إلى النار ، قال علي عليه السلام : وضع أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض ، فيبدأ بالأسفل فيملأ وهو أسفل سافلين . وعلى هذا التقدير فالمعنى : ثم رددناه إلى أسفل سافلين إلى النار .

أما قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فاعلم أن هذا الاستثناء على القول الأول منقطع ، والمعنى : ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله إياهم بالشيخوخة والهرم ، وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة وعلى تخاذل نهوضهم ، وأما على القول الثاني فالاستثناء متصل ظاهر الاتصال .

أما قوله تعالى: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ففيه قولان : **أحدهما:** غير منقوص ولا مقطوع . **وثانيهما:** أجر غير ممنون ، أي لا يمن به عليهم ، واعلم أن كل ذلك من صفات الثواب ؛ لأنه يجب أن يكون غير منقطع وأن لا يكون منغصًا بالمنة .

ثم قال تعالى: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ **وفيه سؤالان:**

الأول: من المخاطب بقوله : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾؟ **الجواب فيه قولان: أحدهما:** أنه خطاب للإنسان على طريقة الالتفات ، والمراد من قوله : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أن كل من أخبر عن الواقع بأنه لا يقع فهو كاذب ، والمعنى : فما الذي يلجئك إلى هذا الكذب؟ **والثاني:** وهو اختيار الفراء أنه خطاب مع محمد ﷺ، والمعنى : فمن يكذبك يا أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل بالدين؟!

السؤال الثاني: ما وجه التعجب؟ **الجواب:** أن خلق الإنسان من النطفة وتقويمه بشرًا سويًا وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي، ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر -دليل واضح على قدرة الخالق على الحشر والنشر، فمن شاهد هذه الحالة ثم بقي مُصرًّا على إنكار الحشر فلا شيء أعجب منه.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ذكروا في تفسيره وجهين: **أحدهما:** أن هذا تحقيق لما ذكر من خلق الإنسان ثم رده إلى أرذل العمر، يقول الله تعالى: أليس الذي فعل ذلك بأحكم الحاكمين صنعًا وتدبيرًا، وإذا ثبتت القدرة والحكمة بهذه الدلالة صح القول بإمكان الحشر ووقوعه، أما الإمكان فبالنظر إلى القدرة، وأما الوقوع فبالنظر إلى الحكمة لأن عدم ذلك يقدح في الحكمة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص: ٢٧]. **والثاني:** أن هذا تنبيه من الله تعالى لنبيه عليه السلام بأنه يحكم بينه وبين خصومه يوم القيامة بالعدل.

المسألة الثانية: قال القاضي: هذه الآية من أقوى الدلائل على أنه تعالى لا يفعل القبيح ولا يخلق أفعال العباد مع ما فيها من السفه والظلم، فإنه لو كان الفاعل لأفعال العباد هو الله تعالى لكان كل سفه وكل أمر بسفه وكل ترغيب في سفه، فهو من الله تعالى، ومن كان كذلك فهو أسفه السفهاء، كما أنه لا حكمة ولا أمر بالحكمة ولا ترغيب في الحكمة إلا من الله تعالى، ومن كان كذلك فهو أحكم الحكماء، ولما ثبت في حقه تعالى الأمران لم يكن وصفه بأنه أحكم الحكماء أَوْلى من وصفه بأنه أسفه السفهاء، ولما امتنع هذا الوصف في حقه تعالى علمنا أنه ليس خالقًا لأفعال العباد. **والجواب:** المعارضة بالعلم والداعي، ثم نقول: السفيه من قامت السفاهة به لا من خلق السفاهة، كما أن المتحرك والساكن من قامت الحركة والسكون به لا من خلقهما.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تفسير سورة «والتين»

مكيةٌ في قولِ الأَكْثَرِ. وقال ابن عباسٍ وقتادةُ: هي مدنية(١). وهي ثماني آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾

فيه ثلاث مسائلَ:

الأولى: قولُه تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ قال ابنُ عباس والحسنُ ومجاهدٌ وعكرمةُ وإبراهيمُ النخعيُّ وعطاء بنُ أبي رباح وجابر بنُ زيد ومقاتلٌ والكلبيُّ: هو تينكُم الذي تأكلون، وزيتونُكم الذي تعصرون منه الزيت(٢)؛ قال الله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وقال أبو ذرٍّ: أُهْدِيَ للنبيِّ ﷺ سَلُّ تِين؛ فقال: «كُلُوا» وأَكَلَ منه. ثم قال: «لو قلتُ: إنَّ فاكهةً نزلت من الجنة، لقلتُ هذه؛ لأنَّ فاكهةَ الجنةِ بلا عَجَمٍ، فكُلوها فإنَّها تقطعُ البواسِيرَ، وتنفعُ من النِّقْرِس»(٣).

وعن معاذ: أنه استاك بقضيبِ زيتونٍ، وقال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «نِعْمَ السِّواكُ الزيتونُ، من الشجرة المباركة، يُطيِّبُ الفم، ويذهبُ بالحَفَر، وهي سِواكي وسِواكُ الأنبياءِ مِن قَبْلي»(٤).

---

(١) ذكر قولهما الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٠٠ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٥٠٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩ ، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٥٠١-٥٠٣ عن الحسن وعكرمة ومجاهد وإبراهيم والكلبي. وأخرجه عن ابن عباس الحاكم ٢/ ٥٢٨ .

(٣) الوسيط ٤/ ٥٢٣ ، والفردوس بمأثور الخطاب (٤٧١٦)، والكشاف ٤/ ٢٦٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩ . وأخرجه أبو نعيم في الطب والثعلبي، كما ذكر الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص١٨٦ ، وقال: وفي إسناده مَن لا يعرف.

(٤) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٤٦)، وذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٦٨ . قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص١٨٦ : إسناده واه. والحَفَر: صفرة تعلو الأسنان. القاموس (حفر).

وروي عن ابن عباس أيضاً: التينُ: مسجِدُ نوحٍ عليه السلامُ الذي بُنيَ على الجوديِّ، والزيتونُ: مسجدُ بيتِ المَقْدِس[١].

وقال الضحاك: التينُ: المسجدُ الحرام، والزيتونُ: المسجدُ الأقصى.

ابن زيد: التين: مسجدُ دمشقَ، والزيتون: مسجدُ بيتِ المَقْدِس. قتادةُ: التين: الجبلُ الذي عليه دمشق، والزيتونُ: الجبلُ الذي عليه بيتُ المقدس[٢].

وقال محمد بن كعب: التينُ: مسجدُ أصحابِ الكَهْفِ، والزيتونُ: مسجدُ إيلياءَ[٣].

وقال كعبُ الأحبارِ وقتادةُ أيضاً وعكرمةُ وابنُ زيد: التينُ: دمشق، والزيتونُ: بيتُ المقدس[٤]. وهذا اختيارُ الطَّبريِّ[٥].

وقال الفرَّاء: سمعتُ رجلًا من أهلِ الشام يقول: التينُ: جبال ما بين حُلْوانَ إلى هَمَذان، والزيتونُ: جبالُ الشامِ[٦].

وقيل: هما جبلان بالشام، يقال لهما: طورُ زَيْتَا وطورُ تِينا بالسريانية، سمِّيا بذلك لأنهما يُنْبِتانِهما[٧]. وكذا رَوَى أبو مَكينٍ عن عكرمة، قال: التينُ والزيتونُ: جبلان بالشام[٨]. وقال زهير[٩]:

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٠٤.

(٢) أخرج القولين الطبري ٢٤/ ٥٠٣، وقول قتادة أخرجه أيضاً عبد الرزاق ٢/ ٣٨٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٥٤، والنكت والعيون ٦/ ٣٠١، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠٤. وإيلياء هي بيت المقدس.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٠٠ عن كعب وابن زيد.

(٥) كذا ذكر المصنف، والذي قاله الطبري في تفسيره ٢٤/ ٥٠٤: والصواب من القول عندنا قولُ مَن قال: التين هو التين الذي يؤكل، والزيتون هو الزيتون الذي يعصر منه الزيت.

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٦، وفيه: سمعت رجلاً من أهل الشام وكان صاحب تفسير يقول...

(٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٢. وطور زيتا: بيت المقدس، وطور تينا: دمشق. ينظر الدر المنثور ٦/ ٣٦٦.

(٨) الوسيط ٤/ ٥٢٣، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٥٠٤ دون قوله: بالشام. وأبو مكين هو نوح بن ربيعة الأنصاري مولاهم، البصري. من رجال التهذيب.

(٩) كذا في النسخ، والصواب أنه للنابغة، على ما يأتي.

أَتَـيْـنَ الـتِّـيـنَ عَـن عُـرُضٍ[١]

وهذا اسمُ موضعٍ. ويجوزُ أن يكون ذلك على حذفِ مضافٍ، أي: ومَنابِتِ التِّينِ والزيتون. ولكنْ لا دليلَ على ذلك من ظاهرِ التنزيل، ولا مِن قولِ مَن لا يَجوزُ خلافُه؛ قاله النَّحَّاس[٢].

الثانية: أصحُّ هذه الأقوالِ الأوّلُ؛ لأنَّه الحقيقةُ، ولا يُعدلُ عن الحقيقة إلى المَجازِ إلَّا بدليلٍ. وإنَّما أَقْسَمَ الله بالتين؛ لأنه كان سِترَ آدمَ في الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [الأعراف: ٢٢] وكان ورقَ التِّين[٣].

وقيل: أَقْسَمَ به ليبينَ وَجْهَ المِنَّةِ العُظْمَى فيه؛ فإنَّه جميلُ المنظر، طيِّبُ المَخْبَرِ، نَشِرُ الرائحة، سهلُ الجَنْيِ، على قَدْرِ المضغة، وقد أَحْسَنَ القائل فيه:

انظُرْ إلى التِّين في الغصون ضُحًى ... ممزَّقَ الجِلدِ مائلَ العُنُقِ
كأنَّه ربُّ نِعمةٍ سُلِبتْ ... فعاد بعدَ الجديدِ في الخَلَقِ
أصغرُ ما في النهودِ أكبرُه ... لكنْ يُنَادَى عليه في الطُّرقِ[٤]

وقال آخَرُ:

التينُ يَعْدِلُ عندي كلَّ فاكهةٍ ... إذا انْثَنَى مائلاً في غُصْنِه الزَّاهي
مُخمَّشُ الوجهِ قد سالتْ حلاوتُه ... كأنَّه راكعٌ مِن خشيةِ اللهِ

وأَقسَمَ بالزيتون لأنه مثَّل به إبراهيم في قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ﴾ [النور: ٣٥] وهو أكثرُ أُدُمِ أهلِ الشامِ والمغرب؛ يَصْطَبِغون به[٥]، ويستعملونه

---

(١) ديوان النابغة ص ١٠٢ ، وتمامه:

صُهْبَ الظِّلالِ أَتَيْنَ التِّين عن عُرُضٍ ... يُزجينَ غيماً قليلاً ماؤه شَبِما

يصف سحائب لا ماء فيها. والتين المذكور في هذا البيت هو جبل بنجد لبني أسد، أو جبل في دار غطفان. ينظر معجم ما استعجم ١/ ٣٣١ ، ومعجم البلدان ٢/ ٦٩ ، واللسان (تين).

(٢) وقاله أيضاً الطبري ٢٤/ ٥٠٤ .

(٣) ذكره الرازي ٣٢/ ٩ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٣٩ .

(٥) أي: يأتدمون به. القاموس (صبغ).

في طبيخهم، ويَسْتَصْبِحون به، ويُداوَى به أدواءُ الجوفِ والقُروح والجراحات، وفيه منافعُ كثيرةٌ. وقال عليه الصلاة والسلام: «كُلوا الزيتَ وادَّهِنوا به؛ فإنَّه من شجرةٍ مباركةٍ». وقد مضى في سورة «المؤمنون» القولُ فيه(١).

الثالثة: قال ابن العربيِّ(٢): ولامتنان الباريً سبحانه، وتعظيم المِنَّةِ في التين، وأنَّه مُقْتاتٌ مدَّخر، قلنا بوجوبِ الزكاةِ فيه. وإنَّما فرَّ كثيرٌ من العلماء من التصريح بوجوب الزكاةِ فيه، تَقيَّةَ جَوْرِ الولاةِ؛ فإنهم يتحاملون في الأموال الزكاتية، فيأخذونها مَغْرَماً، حَسْبَ ما أنذر به الصادقُ ﷺ. فكره العلماءُ أن يجعلوا لهم سبيلاً إلى مالٍ آخَرَ(٣) يتشطَّطون فيه، ولكنْ ينبغي للمرء أن يخرج عن نِعمةِ ربِّه، بأداءِ حقِّه. وقد قال الشافعيُّ لهذه العِلَّةِ وغيرِها: لا زكاةَ في الزيتون. والصحيحُ وجوبُ الزكاةِ فيهما.

قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾

روى ابن أبي نَجيحٍ عن مجاهدٍ: «وطور» قال: جبل. «سِينِين» قال: مبارك، بالسريانية(٤). وعن عكرمةَ عن ابن عباس قال: «طور» جبلٌ، و«سينين» حَسَن(٥). وقال قتادةُ: «سينين» هو المبارَكُ الحَسَن(٦).

وعن عكرمةَ قال: الجبل الذي نادى الله جلَّ ثناؤه منه موسى عليه السلام(٧).

وقال مقاتلٌ والكلبيُّ: «سِينين»: كلُّ جبلٍ فيه شجرٌ مثمِرٌ، فهو سِنين وسِيناء،

(١) ١٥/ ٣٣. وقوله: مثل به إبراهيم، هو على قول مَن قال: إن الشجرة المباركة هي إبراهيم عليه السلام، سماه الله مباركاً لأن أكثر الأنبياء كانوا من صلبه.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٩٣٩.

(٣) في النسخ الخطية: أحد، والمثبت من (م) وأحكام القرآن.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٠٧ دون قوله: بالسريانية، وكذلك هو في تفسير مجاهد ٢/ ٧٦٩.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٠٦ عن عكرمة. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: سينين هو الحسن بلغة الحبشة. الدر المنثور ٦/ ٣٦٦.

(٦) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٢، والطبري ٢٤/ ٥٠٧ بلفظ: جبل بالشام مبارك حسن.

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٠١ عن كعب الأحبار. وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩: لم يُختَلَف أنه جبل بالشام كلم الله عليه موسى، ومنه نودي.

بلُغةِ النَّبط(١).

وعن عمرو بن ميمون قال: صلَّيتُ مع عمر بنِ الخطاب العشاءَ بمكةَ، فقرأ: «والتين والزيتون وطورِ سَيناء. وهذا البلدِ الأمين» قال: وهكذا هي في قراءةِ عبد الله، ورفع صوته تعظيماً للبيت. وقرأ في الركعة الثانية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ جَمَعَ بينهما. ذكره ابنُ الأنباريِّ(٢). النَّحَّاس: وفي قراءة عبد الله: «سِيناء» بكسر السين، وفي حديثِ عمرو بن ميمون عن عُمر بفتح السين.

وقال الأخفش: «طُور» جبل. و«سِينِينَ» شجرٌ، واحدتُه: سِينينة(٣).

وقال أبو عليٍّ: «سِينِين» فِعلِيل، فكُرِّرت اللّامُ التي هي نونٌ فيه، كما كُرِّرتْ في زِحْلِيل: للمكان الزَّلِق، وكِرْديدَة: للقطعةِ من التمر، وخِنذيذ: للطويل. ولم يَنْصَرِف «سينين» كما لم ينصرفْ سِيناء؛ لأنه جُعِل اسماً لبقعةٍ أو أرضٍ، ولو جُعِل اسماً للمكان أو للمنزل أو اسمَ مذكَّرٍ لانْصَرفَ؛ لأنَّك سمَّيْتَ مذكَّراً بمذكَّرٍ(٤).

وإنَّما أقْسَم بهذا الجبلِ لأنه بالشام والأرضِ المقدَّسة، وقد بارك الله فيهما، كما قال: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾

يعني مكةَ. سمَّاه أميناً لأنه آمِنٌ، كما قال: ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧] فالأمين: بمعنى الآمِن؛ قاله الفرَّاءُ وغيرُه، قال الشاعر:

أَلَـمْ تَـعلَـمي يـا أَسْـمُ ويْـحَـكِ أَنَّـنـي ... حَـلَـفْـتُ يَـمـيـنـاً لا أَخُـون أَمِـيـنـي(٥)

---

(١) الوسيط ٤/٥٢٣، وزاد المسير ٩/١٧٠ عن مقاتل.

(٢) في كتاب المصاحف، وأخرجه أيضاً عبد بن حميد. الدر المنثور ٦/٣٦٦. وقراءة: «سيناء» عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما في القراءات الشاذة ص ١٧٦.

(٣) ذكره عن الأخفش البكري في معجم ما استعجم ٣/٨٩٨، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٤٩٩، وهو في معاني القرآن للأخفش ٢/٧٤٠ مختصراً بلفظ: «وطور سينين» واحدها السِّينينة.

(٤) بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/٤٩٨ - ٤٩٩.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/٢٧٦، وذكره أيضاً ابن الأنباري في الأضداد ص٣٤، والطبري ٢٤/٥٠٨، والجوهري في الصحاح (أمن).

يعني: آمِني. وبهذا احتجَّ مَن قال: إنه أراد بالتِّين دمشقَ، وبالزيتونِ بيتَ المقدِسِ. فأقسمَ الله بجبلِ دِمَشْقَ؛ لأنه مأوى عيسى عليه السلام، وبجبلِ بيتِ المقدسِ؛ لأنه مُقَامُ الأنبياءِ عليهم السلامُ، وبمكةَ لأنها أَثَرُ إبراهيمَ ودارُ محمدٍ صلى الله عليهما وسلم(١).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هذا جوابُ القسمِ. وأراد بالإنسان: الكافر؛ قيل: هو الوليد بنُ المُغيرة(٢). وقيل: كَلَدة بنُ أسيد(٣). فعلى هذا نزلتْ في مُنْكري البعث. وقيل: المرادُ بالإنسان آدمُ وذرِّيته.

﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وهو اعتدالُه واستواءُ شبابِه؛ كذا قال عامَّةُ المفسِّرين، وهو أحسنُ ما يكون؛ لأنه خَلَق كلَّ شيء مُنْكَبًّا على وجهه، وخَلَقه هو مستويًا، وله لسانٌ ذَلِق، ويدٌ وأصابعُ يقبضُ بها.

وقال أبو بكر بن طاهر: مزيَّناً بالعقل، مؤدِّياً للأمر، مَهْديًّا بالتمييز، مديدَ القامةِ؛ يتناولُ مأكولَه بيده.

ابن العربيِّ(٤): ليس للهِ تعالى خَلْقٌ أحسنُ من الإنسان؛ فإنَّ الله خَلَقَه حيًّا عالِماً، قادراً مريداً متكلِّماً، سميعاً بصيراً، مدبِّراً حكيماً. وهذه صفاتُ الربِّ سبحانه، وعنها عبَّر بعضُ العلماء، ووقع البيانُ بقوله: «إنَّ الله خَلَق آدمَ على

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٣٩ - ١٩٤٠ . وقال الرازي ٣٢/ ٩ : فيكون المراد من القسم في الحقيقة تعظيم الأنبياء وإعلاء درجاتهم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ١٧١ عن عطاء.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٠٢ ، وزاد المسير ٩/ ١٧١ عن ابن عباس.

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٩٤٠ .

صُورته»[١] يعني على صفاته التي قدَّمْنا ذِكْرَها. وفي روايةٍ: «على صورةِ الرحمن»[٢]، ومِن أين يكون للرحمن صورةٌ متشَخِّصةٌ؟ فلَمْ يَبْقَ إلَّا أن تكون معانيَ. وقد أَخبرَنا المباركُ بنُ عبد الجبار الأزْديُّ قال: أخبرنا القاضي أبو القاسم عليّ بنُ أبي عليٍّ القاضي المحسّن عن أبيه قال: كان عيسى بنُ موسى الهاشميُّ يحبُّ زوجته حبًّا شديداً، فقال لها يوماً: أنت طالقٌ ثلاثاً إنْ لم تكوني أحسنَ من القمر، فنهضتْ واحْتَجبتْ عنه، وقالت: طلَّقتني! وبات بليلةٍ عظيمة، فلمَّا أصبح غدا إلى دار المنصور، فأخبره الخبرَ، وأظهر للمنصور جزعاً عظيماً، فاستَحْضَر الفقهاءَ واستَفْتاهم. فقال جميعُ مَن حضر: قد طلقتْ، إلَّا رجلاً واحداً من أصحاب أبي حنيفة، فإنَّه كان ساكتاً، فقال له المنصور: مالَكَ لا تتكلَّم؟ فقال له الرجل: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ يا أمير المؤمنين، فالإنسانُ أَحْسنُ الأشياءِ، ولا شيءَ أحسنُ منه. فقال المنصورُ لعيسى بنِ موسى: الأمرُ كما قال الرجلُ، فأَقْبِلْ على زوجتك. وأرسل أبو جعفر المنصور إلى زوجته: أن أطيعي زوجَكِ ولا تَعْصِيْه، فما طلَّقك[٣].

فهذا يَدلُّكَ على أنَّ الإنسان أَحْسنُ خَلْقِ اللهِ باطنًا وظاهراً، جمالَ هيئةٍ، وبديعَ تركيبٍ: الرأسُ بما فيه، والصدرُ بما جَمَعَه، والبطنُ بما حَوَاه، والفَرْجُ وما طَوَاه،

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٨١٧١)، والبخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١) عن أبي هريرة ﷺ، وسلف ٦/ ٤٩٢ - ٤٩٣ .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الحارث (٨٧٢ - بغية الباحث)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٣١٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٥١٧)، وابن خزيمة في التوحيد ص ٣٨ ، والطبراني في الكبير (١٣٥٨٠) من طريق الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ. وقد أعله ابن خزيمة بأن الثوري خالف الأعمش في إسناده، فأرسل ولم يقل: عن ابن عمر، وأعله أيضاً بتدليس الأعمش وقد عنعن، وكذلك حبيب بن أبي ثابت وقد عنعن. ولكن الذهبي في الميزان ٢/ ٤٢٠ نقل عن إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل تصحيحهما لهذا الحديث. وينظر الفتح ٥/ ١٨٣ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٤٠ ، وهو في كتاب الفرج بعد الشدة ٤/ ٣٧٧ للقاضي أبي علي المحسّن بن علي التنوخي البصري الأديب، المتوفى سنة (٣٨٤هـ). السير ١٦/ ٥٢٤ .

واليدان وما بَطَشتاه، والرِّجلان وما احْتَمَلَتاه. ولذلك قالت الفلاسفةُ: إنَّه العالَمُ الأصغَرُ؛ إذ كلُّ ما في المخلوقات جُمِعَ فيه[١].

الثانية: قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ أي: إلى أَرْذلِ العمرِ، وهو الهَرَمُ بعد الشباب، والضَّعفُ بعد القوّة، حتى يصير كالصبيِّ في الحال الأوّل؛ قاله الضَّحاك والكلبيُّ وغيرُهما[٢].

وروى ابنُ أبي نَجيح عن مجاهد: «ثم رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ» إلى النار، يعني الكافرَ. وقاله أبو العالية[٣].

وقيل: لمَّا وَصَفَه الله بتلك الصفاتِ الجليلةِ التي رُكِّب الإنسانُ عليها، طغى وعلا، حتى قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وحين عَلم الله هذا مِن عَبْدِه، وقضاؤه صادرٌ[٤] من عنده، رَدَّه أَسْفَلَ سافِلين، بأنْ جَعَله مملوءًا قَذَرًا، مشحونًا نجاسةً، وأخرجها على ظاهره إخراجاً مُنْكراً، على وجه الاختيارِ تارةً، وعلى وجه الغَلَبةِ أخرى، حتى إذا شاهد ذلك من أمره، رَجَع إلى قَدْره[٥]. وقرأ عبد الله: «أسفلَ السَّافِلينَ»[٦].

وقال: «أسفلَ سافِلين» على الجمع؛ لأنَّ الإنسان في معنى جمعٍ، ولو قال: أسفلَ سافلٍ جاز؛ لأنَّ لفظَ الإنسانِ واحدٌ. وتقول: هذا أفضلُ قائمٍ. ولا تقولُ: أفضلُ قائِمين؛ لأنَّك تُضمِرُ لواحدٍ، فإنْ كان الواحدُ غيرَ مُضْمَرٍ له، رجع اسمُه بالتوحيد والجمع، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٤١ .

(٢) ذكره عنهما الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٠٢ ، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٥١٣ - ٥١٤ عن ابن عباس وعكرمة وإبراهيم وقتادة.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٠٢ ، وأخرجه عن مجاهد الطبري ٢٤/ ٥١٥ .

(٤) في (د) و(ي): صار.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٤١ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٠ ، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠٤ ، والكشاف ٤/ ٢٦٩ .

﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الشورى: ٤٨].

وقد قيل: إنَّ معنى «رَدَدْنَاه أَسْفَلَ سافلينَ»، أي: ردَدْناه إلى الضلال، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: إلَّا هؤلاء، فلا يُردُّون إلى الهرم[١]. والاستثناءُ على قولِ مَن قال: «أسفلَ سافلينَ»: النار، متَّصِلٌ. ومَن قال: إنه الهَرَم، فهو مُنْقَطِعٌ[٢].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنَّه تكتبُ لهم حسناتُهم، وتُمْحَى عنهم سيئاتُهم، قاله ابن عباس. قال: وهم الذين أَدْرَكهم الكِبَر، لا يؤاخَذون بما عملوه في كِبرهم[٣].

وروى الضحاك عنه قال: إذا كان العبدُ في شبابه كثيرَ الصلاةِ كثيرَ الصيام والصَّدقةِ، ثم ضَعُف عمَّا كان يعمل في شبابه، أَجْرَى الله عزَّ وجلَّ له ما كان يعمل في شبابه[٤].

وفي الحديث: قال النبيُّ ﷺ: «إذا سافَرَ العبدُ أو مَرِض كتبَ اللهُ له مثلَ ما كان يَعمَلُ مُقيماً صحيحاً»[٥].

---

(١) في (م): إلى ذلك. بدل قوله: إلى الهرم، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الأنسب بسياق الكلام بعده. وقد وقع هذا الكلام في النسخ الخطية متأخراً عن موضعه هنا، وينظر التعليق التالي.

(٢) من قوله: وقال أسفل سافلين على الجمع... إلى هذا الموضع، وقع في النسخ الخطية بعد قوله الآتي: ويكتب له ذلك. قبل تفسير قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/٥١٨، وفي آخره زيادة: وهم هرمَى لا يعقلون.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/٥١٨ من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه أحمد (١٩٦٧٩)، والبخاري (٢٩٩٦) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

وقيل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنه لا يَخْرَفُ ولا يَهْرَمُ، ولا يذهبُ عقلُ مَن كان عالِماً عاملاً به. وعن عاصمٍ الأحولِ عن عكرمةَ قال: مَن قرأ القرآنَ لم يُرَدَّ إلى أَرْذلِ العمر(١).

ورُوي عن ابن عمر عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «طُوبَى لِمَن طال عمرُه وحَسُنَ عملُه»(٢).

ورُوي: إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا ماتَ أَمَرَ الله مَلَكَيْهِ أنْ يتعبَّدا على قبره إلى يوم القيامة، ويكتب له ذلك(٣).

قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال الضحاك: أجرٌ بغيرِ عملٍ(٤). وقيل: غيرُ مقطوعٍ.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾

قيل: الخطابُ للكافر؛ توبيخاً وإلزاماً للحجَّة. أي: إذا عَرَفْتَ أيها الإنسانُ أنَّ الله خَلَقَك في أحسنِ تقويمٍ، وأنه يردُّكَ إلى أرذلِ العمر، وينقلُك من حالٍ إلى حال، فما يحملُكَ على أنْ تُكَذِّب بالبعثِ والجزاء وقد أخبرك محمدٌ ﷺ به؟

وقيل: الخطابُ للنبيِّ ﷺ، أي: اسْتَيْقِنْ مع ما جاءك من الله عزَّ وجلَّ أنَّه أحكم الحاكمين. رُوي معناه عن قتادة(٥).

وقال قتادةُ أيضاً والفرَّاء: المعنى: فَمَن يكذِّبُك أيُّها الرسولُ بعد هذا البيانِ

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥١٧ .

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٩٢ . وأخرجه بنحوه أحمد (١٧٦٨٠) من حديث عبد الله بن بُسر ﷺ، و(٢٠٤١٥) من حديث أبي بكر ﷺ، وسلف ٥/ ٩٧ و٢٦٤ .

(٣) ذكره بنحوه مطولاً أبو الليث ٣/ ٤٩٢ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٠٣ ، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠٥ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٢٤ .

«بالدِّين» واختاره الطبريُّ[١]. كأنه قال: فَمَن يَقْدِرُ على ذلك، أي: على تكذيبك بالثواب والعقاب، بعدما ظَهَر من قدرتنا على خَلْقِ الإنسان والدِّين والجزاء. قال الشاعر:

دِنَّا تميماً كما كانتْ أوائلُنا ... دانَتْ أوائلَهمْ في سالِفِ الزَّمنِ[٢]

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

أي: أتْقَن الحاكِمينَ صُنْعاً في كلِّ ما خَلَق. وقيل: «بأحكم الحاكمين» قضاءً بالحقِّ، وعَدْلاً بينَ الخَلْقِ. وفيه تقريرٌ[٣] لمن اعْتَرَفَ من الكفار بصانعٍ قديم. وألفُ الاستفهامِ إذا دخلتْ على النَّفْي وفي الكلام معنى التوقيفِ صار إيجاباً، كما قال:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَن رَكِبَ المَطايا[٤]

وقيل: «فما يُكَذِّبُك بعدُ بِالدِّينِ. أليسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الحاكِمِين»: منسوخةٌ بآيةِ السَّيف[٥]. وقيل: هي ثابتةٌ؛ لأنَّه لا تَنافيَ بينهما.

وكان ابنُ عباس وعلي بنُ أبي طالب رضي الله عنهما إذا قرأا «أليس الله بأحكم الحاكمين» قالا: بلى، وأنا على ذلك من الشَّاهِدِين. فيُختارُ ذلك[٦]، والله أعلم.

ورواه الترمذيُّ عن أبي هريرةَ قال: مَن قرأ سورةَ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فقرأ: ﴿أَلَيْسَ

---

(١) في تفسيره ٢٤/ ٥٢٤، وقول الفراء بنحوه في معاني القرآن ٣/ ٢٧٧.

(٢) البيت للطرماح، وهو في ديوانه ص ١٧٢، والنكت والعيون ٦/ ٣٠٣. ورواية الديوان: في سالف الأبد.

(٣) في النسخ عدا (ظ): تقدير، والمثبت من (ظ)، والنكت والعيون ٦/ ٣٠٣، والكلام منه.

(٤) وعجزه: وأندى العالمين بطون راح. والبيت لجرير، وهو في ديوانه ١/ ٨٩، وسلف ٤/ ٣١٢، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

(٥) زاد المسير ٩/ ١٧٤.

(٦) في (ظ): فنختار ذلك. والكلام من النكت والعيون ٦/ ٣٠٣ دون ذكر ابن عباس، وقد أخرجه بنحوه عن ابن عباس عبد الرزاق ٢/ ٣٨٣، والطبري ٢٤/ ٥٢٦.

﴿ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ فليقُلْ: بلى، وأنا على ذلك من الشَّاهِدِين[١]. والله أعلم.

(١) سنن الترمذي (٣٣٤٧)، وأخرجه أيضاً أحمد (٧٣٩١)، وأبو داود (٨٨٧) وهو من طريق إسماعيل بن أمية، عن أعرابيٍّ، عن أبي هريرة به. قال الترمذي: هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة، ولا يسمَّى.

وذكر ابن أبي حاتم في العلل ٢/ ٩٠ عن أبي زرعة قوله: الصحيح إسماعيل بن أمية عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبي هريرة موقوفاً.

تفسير سورة والتين والزيتون

وهى مكية .

قال مالك وشعبة ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب : كان النبى ﷺ يقرأ فى سَفَر فى إحدى الركعتين بالتين والزيتون ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه . أخرجه الجماعة فى كتبهم [١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨) ﴾ .

اختلف المفسرون هاهنا على أقوال كثيرة فقيل : المراد بالتين مسجد دمشق . وقيل : هى نفسها. وقيل : الجبل الذى عندها .

وقال القرطبى : هو مسجد أصحاب الكهف [٢] .

وروى العَوفى ، عن ابن عباس : أنه مسجد نوح الذى على الجودى .

وقال مجاهد : هو تينكم هذا .

﴿ وَالزَّيْتُونِ ﴾ : قال كعب الأحبار ،وقتادة ، وابن زيد ، وغيرهم : هو مسجد بيت المقدس .

وقال مجاهد ، وعكرمة : هو هذا الزيتون الذى تعصرون .

﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ : قال كعب الأحبار وغير واحد : هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى .

﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ يعنى : مكة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وإبراهيم النَّخَعِى ، وابن زيد ، وكعب الأحبار . ولا خلاف فى ذلك .

وقال بعض الأئمة : هذه مَحَالٌّ ثلاثة ، بعث الله فى كل واحد منها نبياً مرسلا من أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار ، فالأول : محلة التين والزيتون ، وهى بيت المقدس التى بعث الله فيها عيسى ابن مريم . والثانى : طور سينين ، وهو طور سيناء الذى كلم الله عليه موسى بن عمران . والثالث : مكة ، وهو البلد الأمين الذى من دخله كان آمنا ، وهو الذى أرسل فيه محمداً ﷺ.

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩٥٢) وصحيح مسلم برقم (٤٦٤) وسنن أبى داود برقم (١٢٢١) وسنن الترمذى برقم (٣١٠) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٨٢) وسنن ابن ماجة برقم (٨٣٤،٨٣٥) .

(٢) تفسير القرطبى (٢٠/ ١١١) عن محمد بن كعب .

قالوا : وفى آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء ـ يعنى الذى كلم الله عليه موسى [بن عمرن] (١) ـ وأشرق من ساعيرَ ـ يعنى جبل بيت المقدس الذى بعث الله منه عيسى ـ واستعلن من جبال فاران ـ يعنى : جبال مكة التى أرسل الله منها محمداً ـ فذكرهم (٢) على الترتيب الوجودى بحسب ترتيبهم فى الزمان ، ولهذا أقسم بالأشرف ، ثم الأشرف منه ،ثم بالأشرف منهما .

وقوله ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ : هذا هو المقسم عليه ، وهو أنه تعالى خلق الإنسان فى أحسن صورة ، وشكل منتصب القامة ، سَوِىّ الأعضاء حسنها .

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ أى : إلى النار . قاله مجاهد ، وأبو العالية ، والحسن ، وابن زيد ، وغيرهم . ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل ؛ ولهذا قال : ﴿ إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ .

وقال بعضهم : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ أى : إلى أرذل العمر . رُوى هذا عن ابن عباس ، وعكرمة ـ حتى قال عكرمة : من جمع القرآن لم يُرَدّ إلى أرذل العمر . واختار ذلك ابن جرير . ولو كان هذا هو المراد لما حَسُن استثناء المؤمنين من ذلك ؛ لأن الهَرَم قد يصيبُ بعضهم ،وإنما المراد ما ذكرناه ، كقوله: ﴿وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ١ـ٣].

وقوله : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أى : غير مقطوع ، كما تقدم .

ثم قال : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾ يعنى : يا ابن آدم ﴿ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾ ؟ أى : بالجزاء فى المعاد وقد علمت البدأة ، وعرفت أن من قدر على البدأة ، فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى ، فأى شىء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور قال: قلت لمجاهد : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾ عنى به النبى ﷺ قال: مَعَاذ الله ! عنى به الإنسان . وهكذا قال عكرمة وغيره .

وقوله : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ أى : أما هو أحكم الحاكمين ، الذى لا يجور ولا يظلم أحداً ، ومن عَدْله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم فى الدنيا ممن ظلمه . وقد قدمنا فى حديث أبى هريرة مرفوعاً : « فإذا قرأ أحدكم ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فأتى على آخرها :﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِ ﴾ فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين » (٣).

آخر تفسير [سورة] (٤) « والتين والزيتون» ، ولله الحمد

---

(١) زيادة من م . (٢) فى م : « مخبراً عنهم » .

(٣) انظر : تفسير الآية الأخيرة من سورة القيامة .

(٤) زيادة من م ، أ .

سورة والتِّين

مكّيّة، وهي ثمان آياتٍ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦﴾

/ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ هما هذا التين وهذا الزيتون خصّهما الله سبحانه مِن [٣٠٦ظ] بين الثمار بالإقسام بهما لاختصاصهما بخواصّ جليلةٍ، فإنّ التين فاكهة طيّبة لا فضلَ له، وغذاءٌ لطيف سريع الهضم، ودواءٌ كثير النفع؛ يُليّن الطبع ويُحلّل البلغم ويُطهّر الكليتين ويُزيل ما في المثانة مِن الرمل ويُسمّن البدن ويفتح سُدَد الكبِد والطِّحال.

وروى أبو ذرٍّ أنّه أُهديَ للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم سَلٌّ مِن تين، فأكل منه وقال لأصحابه: «كُلوا فلو قلتُ: إنّ فاكهةً نزلت مِن الجنّة لقلتُ: هذا؛ لأنّ فاكهة الجنّة بلا عَجَم، فكلوها فإنّها تقطع البواسير وتنفع مِن النِّقْرِس».[١]

وعن عليّ بن موسى الرِّضا:[٢] التينُ يُزيل نكهةَ الفم، ويطوّل الشَّعر، وهو أمان مِن الفالج، وأمّا الزيتون فهو فاكهة وإدام ودواء، ولو لم يكن له سوى اختصاصه

---

١ الكشف والبيان للثعلبي، ١٠/٣٠؛ التفسير البسيط للواحدي، ١٤٤/٢٤؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٨٤/٤.

٢ هو عليّ الرضى بن موسى الكاظم الهاشمي العلوي، أبو الحسن (ت. ٢٠٣هـ/٨١٨م). الإمام السيّد المدني ثاني الأئمّة الاثني عشر عند الإماميّة، ومِن أجلّاء السادة أهل البيت وفضلائهم. كان أسودَ اللون وأمّه حبشيّة. وكان مِن الدِّين والعلم والسؤدد بمكان. أحبّه المأمون وزوّجه ابنته وضرب اسمه على الدرهم والدينار، وغيّر مِن أجله الزيّ العبّاسي، وصيّره وليّ عهده لكنّه مات في عهد المأمون. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣٨٨/٩؛ والأعلام للزركلي، ٢٦/٥.

بدُهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنيّة فيها لكفى به فضلًا، وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل.[١]

ومرّ معاذُ بن جبل بشجرة الزيتون، فأخذ منها قضيبًا واستاكَ به وقال: سمعت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: «نِعمَ السِّواك الزيتونُ مِن الشجرة المباركة، يطيِّب الفم ويذهب بالحفرة»،[٢] وسمعتُه يقول: «هو سواكي وسواكُ الأنبياء قبلي».[٣]

وقيل: هما جبلان مِن الأرض المقدَّسة يقال لهما بالسُّريانيّة: "طور تينا" و"طور زيتا"؛ لأنهما منبتا التين والزيتون. وقيل: ﴿ٱلتِّينِ﴾ جبال ما بين حُلوان[٤] وهَمْدان،[٥] ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾ جبال الشام؛ لأنّهما منابتهما، كأنّه قيل: ومنابتِ التين والزيتون.[٦]

وقال قتادةُ: ﴿ٱلتِّينِ﴾ الجبل الذي عليه دمشقُ ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾ الجبل الذي عليه بيت المَقدِس.[٧] وقال عكرمةُ وابن زيد: ﴿ٱلتِّينِ﴾ دمشقُ، ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾ بيت المَقدِس.[٨] وهو اختيار الطبري.[٩]

وقال محمد بن كعب: ﴿ٱلتِّينِ﴾ مسجد أصحاب الكهف، ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾ مسجد إيليا.[١٠] وعن ابن عبّاس: ﴿ٱلتِّينِ﴾ مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي،

---

١ القول في تفسير الرازي، ٢١٠/٣٢؛ واللباب لابن عادل، ٤٠٦/٢٠.

٢ الحَفَر: أن يحفر القَلَح أصول الأسنان بين اللِّثة وأصل السنّ مِن ظاهر وباطن. لسان العرب لابن منظور، «حفر».

٣ المعجم الأوسط للطبراني، ٢١٠/١ (٦٧٨)؛ والطبّ النبوي لابي نُعيم، ٦٣٦/٢ (٦٨٦)؛ الكشف والبيان للثعلبي، ١٢/٣٠؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٨٤/٤.

٤ حُلوان بالضمّ: حُلوان العراق، وهي آخر حدود السواد ممّا يلي الجبال في بغداد. انظر: معجم البلدان للحموي، ٢٩٠/٢.

٥ همدان: قبيلة يمانيّة، ولعلّ المصنِّف قَصَد بلاد همدان. انظر: قلائد الجمان للقلقشندي، ص ٩٩-١٠٠.

٦ الكشّاف للزمخشري، ٥٨٤/٤.

٧ جامع البيان للطبري، ٥٠٣/٢٤؛ معالم التنزيل للبغوي، ٤٧١/٨.

٨ جامع البيان للطبري، ٥٠٣/٢٤؛ معالم التنزيل للبغوي، ٤٧١/٨.

٩ هذه العبارة في اللباب لابن عادل، ٤٠٦/٢٠. والذي في جامع البيان للطبري، ٥٠٤/٢٤: أنّه اختار الوجه الأوّل، وهو أنّ التين هو التين الذي يؤكل والزيتون هو الزيتون الذي يُعصَر، ثمّ جوّز الوجه المذكور ههنا، وذكر أنّه ليس في صحّة الوجه الأوّل.

١٠ معالم التنزيل للبغوي، ٤٧١/٨.

﴿وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ مسجد بيت المقدس.[١] / وقال الضحّاك: ﴿ٱلتِّينِ﴾ المسجد الحرام، [٣٠٧و]
﴿وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ المسجد الأقصى.[٢]

والصحيح هو الأوّل، قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت». وبه قال مجاهدٌ وعكرمةُ وإبراهيمُ النخَعي وعطاءٌ وجابر بن زيد[٣] ومقاتلٌ والكلبي.[٤]

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربّه، و﴿سِينِينَ﴾ وسيناءُ عَلَمان للموضع الذي هو فيه، ولذلك أضيفَ إليهما، وسِينون كـ"يبرون"[٥] في جواز الإعراب بـ"الواو" و"الياء" والإقرارِ على "الياء" وتحريك "النون" بالحركات الإعرابيّة.[٦]

﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ أي: الآمن مِن "أَمُنَ الرجلُ أمانةً" فهو أمين، وهو مكّة شرّفها الله تعالى، وأمانتُها أنّها تحفظ مَن دخلها كما يحفظ الأمين ما يُؤتمَن عليه. ويجوز أن يكون فعيلًا بمعنى "مفعول" مِن "أمنه"، لأنّه مأمونُ الغوائل، كما وُصف بـ"الآمن" في قوله تعالى: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص، ٥٧/٢٨]، بمعنى "ذي أمن".

ووجهُ الإقسام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدِّين غنيٌّ عن الشرح والتبيين.

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أي: جنسَ الإنسان ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ أي: كائنًا في أحسن ما يكون مِن التقويم والتعديل صورةً ومعنًى، حيث برَأه تعالى مستويَ القامة،

---

١ جامع البيان للطبري، ٥٠٤/٢٤.

٢ اللباب لابن عادل، ٤٤٠٦/٢٠؛ وعن الضحّاك في معالم التنزيل للبغوي، ٤٧١/٨: أنّها مسجدان بالشام.

٣ هو جابر بن زيد الأزدي البصري، أبو الشعثاء (ت. ٩٣هـ/٧١٢م). تابعي فقيه، مِن الأئمّة، مِن أهل البصرة، أصله مِن عُمان. صحب ابن عبّاس، وهو مِن بحور العلم ويعدّ مع الحسن وابن سيرين. نفاه الحجّاج إلى عُمان. قال قتادة عند موته: اليوم مات أعلم أهل العراق. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤٨١/٤؛ والأعلام للزركلي، ١٠٤/٢.

٤ جامع البيان للطبري، ٥٠١/٢٤-٥٠٣؛ معالم التنزيل للبغوي، ٤٧١/٨.

٥ يَبرِين، وأَبرِين لغة فيه: اسم قرية كثيرة النخل والعيون العذبة بحذاء الأحساء مِن بني سعد بالبحرين. انظر: معجم البلدان للحموي، ٤٢٧/٥، ٧١/١.

٦ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٥٨٤/٤.

متناسبَ الأعضاء، متّصفًا بالحياة والعِلم والقدرة والإرادة والتكلّم والسمع والبصر وغير ذلك مِن الصفات التي هي أنموذجات مِن الصفات السبحانيّة وآثارٌ لها، وقد عبَّر بعض العلماء[١] عن ذلك بقوله: «خلق آدمَ على صورته»،[٢] وفي رواية «على صورة الرحمن»،[٣] وبنى عليه تحقيق معنى قوله: «مَن عرَف نفسه فقد عرف ربّه»، وقال: إنّ النفس الإنسانيّة مجرّدةٌ ليست حالّةً في البدن ولا خارجةً عنه، متعلّقةٌ به تعلُّقَ التدبير والتصرّف، تستعمله كيفما شاءت، فإذا أرادت فعلًا مِن الأفاعيل الجسمانيّة تُلقيه إلى ما في القلب مِن الروح الحيوانيّ الذي هو أعدل الأرواح وأصفاها، وأقربُها منها، / وأقواها مناسبةً إلى عالم [٣٠٧ظ] المجرَّدات إلقاءً روحانيًا، وهو يُلقيه بواسطة ما في الشرايين مِن الأرواح إلى الدِّماغ الذي هو منبَت الأعصاب التي فيها القوى المحرِّكة للإنسان، فعند ذلك يحرِّك مِن الأعضاء ما يليق بذلك الفعل مِن مباديه البعيدة والقريبة، فيصدُر عنه ذلك بهذه الطريقة، فمَن عرَف نفسه على هذه الكيفيّة مِن صفاتها وأفعالها تسنّى له أن يترقّى إلى معارج معرفة ربّ العزّة عزّ سلطانه، ويطّلعَ على أنّه سبحانه منزَّه عن كونه داخلًا في العالم أو خارجًا منه، يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتَّبه فيه مِن الملائكة الذين يُستَدلّ على شئونهم بما ذُكر مِن الأرواح والقوى المرتَّبة في العالم الإنسانيّ الذي هو نسخة للعالم الأكبر وأنموذج منه.[٤]

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ أي: جعلناه مِن أهل النّار الذين هم أقبح مِن كلّ قبيح، وأسفل مِن كلّ سافل، لعدم جريانه على موجَب ما خلقناه عليه مِن الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في أعلى علّيّين. وقيل: رددناه إلى أرذل العمر، وهو الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوّة، كقوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ [يس، ٣٦/٦٨].[٥] وأيًّا ما كان فـ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾

---

١ وفي هامش م: هو الإمام حُجّة الإسلام محمّد الغزّالي رحمه الله.

٢ مسند أحمد، ١٢/٢٧٥ (٧٣٢٣)؛ صحيح ابن حبّان، ١٢/٤٢٠ (٥٦٠٥).

٣ المعجم الكبير للطبراني، ١٢/٤٣٠ (١٣٥٨٠).

٤ الكلام بمعناه في ميزان العمل للغزّالي، ص ٦٩-٧١.

٥ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٨٥.

إمّا حال مِن المفعول، أي: رددناه حال كونه أسفل سافلين، أو صفة لمكان محذوف، أي: رددناه مكانًا أسفلَ سافلين، والأوّل أظهر. وقُرئ: "أَسْفَلَ السَّافِلِينَ".[1]

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ على الأوّل استثناء متّصل مِن ضمير ﴿رَدَدْنَٰهُ﴾، فإنّه في معنى الجمع، وعلى الثاني منقطع، أي: لكنّ الذين كانوا صالحين مِن الهرمى. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير منقطِع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم، وعلى مقاساة المشاقّ، والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم، أو غيرُ ممنون به عليهم. وهذه الجملة على الأوّل / مقرّرة لِما يفيده الاستثناء مِن خروج المؤمنين عن حكم الردّ، [٣٠٨و]
ومبيّنة لكيفيّة حالهم.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

والخطاب في قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ للرسول عليه السلام، أي: فأيُّ شيء يكذِّبك دلالةً أو نطقًا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به؟ وقيل: ﴿مَا﴾ بمعنى "مَن". وقيل: الخطاب للإنسان على طريق الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت، أي: فما يجعلك كاذبًا بسبب الدِّين وإنكاره بعد هذا الدليل؟[2] والمعنى أنّ خَلْق الإنسان مِن نطفة وتقويمَه بشرًا سويًّا وتحويلَه مِن حال إلى حال كمالًا ونقصانًا مِن أوضح الدلائل على قدرة الله عزّ وجلّ على البعث والجزاء، فأيُّ شيء يضطرُّك بعد هذا الدليل القاطع إلى أن تكون كاذبًا بسبب تكذيبه أيّها الإنسان؟

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أي: أليس الذي فعل ما ذُكر بأحكم الحاكمين صنعًا وتدبيرًا حتّى يُتوهَّم عدمُ الإعادة والجزاء، وحيث استحال عدم كونه أحكمَ الحاكمين تعيَّن الإعادة والجزاء، فالجملةُ تقرير لِما قبلها. وقيل: الحُكم بمعنى القضاء، فهي وعيد للكفّار، وأنّه يحكم عليهم بما يستحقّونه مِن العذاب.[3]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. الكشّاف للزمخشري، ٥٨٥/٤.

٢ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٥٨٥/٤.

٣ القول في اللباب لابن عادل، ٤١١/٢٠.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «أنّه كان إذا قرأها يقول: بلى، وأنا على ذلك مِن الشاهدين».[١] وعنه عليه السلام: «مَن قرأ سورة ﴿وَٱلتِّينِ﴾ أعطاه الله تعالى الخصلتين: العافية واليقين ما دام في دار الدنيا، وإذا مات أعطاه الله تعالى مِن الأجر بعدد مَن قرأ هذه السورة».[٢]

---

١ مسند أحمد، ٣٥٣/١٢ (٧٣٩١)؛ سنن أبي داود، ١٦٣/٢ (٨٨٧)؛ سنن الترمذي، ٤٤٣/٥ (٣٣٤٧)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٨٥/٤.

٢ الكشف والبيان للثعلبي، ٨/٣٠ (الضحى، ١/٩٥)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٢٢/٤ (الضحى، ١/٩٥)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٨٥/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

سُورَةُ وَالتِّينِ

ويقال لها: سورة التين، بلا واو، مكّيَّة في قول الجمهور، وعن قتادة أنَّها مدنيَّةٌ، وكذا عن ابن عباس على ما في «البحر»[1] و«مجمع البيان» برواية المعدّل[2]. وأخرج عنه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقيُّ[3] ما يوافقُ قولَ الجمهور، ويؤيِّدهُ إشارة الحضور في قوله تعالى: «وهذا البلد الأمين»، فإنَّ المراد به مكَّة بإجماع المفسرين فيما نعلم.

وآيُها ثمان آياتٍ في قولهم جميعاً.

ولَمَّا ذكر سبحانه في السورة السابقة حالَ أكمل النوع الإنسانيِّ بالاتفاق، بل أكملِ خلق الله عزَّ وجلَّ على الإطلاق، ﷺ، ذكر عزَّ وجلَّ في هذه السورة حالَ النوع وما ينتهي إليه أمرُه، وما أعدَّ سبحانه لمن آمن منه بذلك الفرد الأكمل، وفخرِ هذا النوع المفضَّلِ، صلى الله تعالى عليه وسلَّمَ وشرَّف وعظَّم وكرَّم، فقال عزَّ قائلاً:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ إقسامٌ ببقاعٍ مباركةٍ شريفةٍ، على ما ذهب إليه كثير، فأمَّا «البلد الأمين» فمكَّة ـ حماها الله

(١) البحر المحيط ٨/ ٤٨٩.

(٢) مجمع البيان ٣٠/ ١٧٦.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٣٦٥، وهو في فضائل القرآن لابن لضريس (١٧)، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ١٣٢، ودلائل النبوة للبيهقي ٧/ ١٤٣.

تعالى - بلا خلافٍ، وجاء في حديثٍ مرفوع[(١)]، وهو مكانُ البيت الذي هو هدًى للعالمين، ومولدُ رسول الله ﷺ ومبعثُه.

و«الأمين» فعيل، إمَّا بمعنى فاعل، أي: الآمن، من أمُن الرجل - بضمِّ الميم - أمانةً، فهو أمين، وجاء أُمَّانٌ أيضاً، كما جاء كريم وكُرَّام، ولم يسمع آمن اسم فاعل، وسُمع على معنى النسب، كما في قوله تعالى: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧] بمعنى ذي أمن، وأمانتُه أن يَحفظ مَن دَخَله، كما يَحفظ الأمين ما يؤتمنُ عليه، ففيه تشبيهُه[(٢)] بالرجل الأمين. وإمَّا بمعنى مفعول، أي: المأمون، مِن أمِنَه، أي: لم يَخَفْه، ونسبتُه إلى البلد مجازيَّة، والمأمون حقيقةً الناس، أي: لا تخافُ غوائلَهم فيه، أو الكلام على الحذف والإيصال، أي: المأمون فيه من الغوائل. وإقحام اسم الإشارة للتعظيم.

وأمَّا «طور سينين» فالجبل الذي كلَّم الله تعالى شأنه موسى عليه السلام عليه، ويقال له: طور سيناء، بكسر السين والمد، وبفتحها والمد، وقد قرأ بالأول هنا بدل «سينين» عمرُ بن الخطاب وعبد الله وطلحة والحسن، وبالثاني عمر أيضاً وزيد بن عليّ[(٣)].

و«طور سَينين» بفتح السين، وهي لغةُ بكرٍ وتميم، وقد قَرأ بها ابن أبي إسحاق وعمرو بن ميمون وأبو رجاء[(٤)].

وفي «البحر» أنَّه لم يُختلَفْ في أنَّه جبلٌ بالشام[(٥)].

وتعقَّبه الشهابُ بأنَّه خلافُ المشهور، فإنَّ المعروفَ اليوم بطور سينا ما هو بقرب التِّيه بين مصر والعَقَبة[(٦)].

---

(١) ينظر حديث أنس رضي الله عنه في الموضوعات لابن الجوزي (٢٦٠).
(٢) في (م): تشبيه.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٧٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٦٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٩٠.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٩-٤٩٠، وفي القراءات الشاذة ص١٧٦ أنَّ عمرو بن ميمون وابن أبي إسحاق قرأا: سِنِين، بلا ياء كما قال ابن خالويه.
(٥) البحر المحيط ٨/ ٤٨٩.
(٦) حاشية الشهاب ٨/ ٣٧٦.

وسينين قيل: اسمٌ للبقعة[1] التي فيها الجبل أضيف إليه الطُّور، ويُعامَل في الإعراب معاملة بَيْرون ونحوه، فيعرب بالواو والياء، ويقرُّ على الياء وتحرك النون بحركات الإعراب.

وقال الأخفش: سينين جمعٌ بمعنى شجر، واحده[2]: سينة[3]، فكأنَّه قيل: طور الأشجار.

وأخرج ابن أبي حاتم وابنُ المنذر وعبدُ بن حميد عن ابن عباس أنَّه قال: «سينين» هو الحَسَن. وأخرج عبد بن حميد نحوه عن الضحاك، وكذلك أخرج هو وجماعةٌ عن عكرمة بزيادة: بلسان الحبشة[4]. وأخرج هو أيضاً وابن جرير وابن عساكر وغيرهما عن قتادة أنَّه قال: «سينين»: مباركٌ حَسَنٌ ذو شجر[5]. والإضافة على ما ذُكر من إضافة الصفة إلى الموصوف.

وأمَّا التين والزيتون فرَوى جماعةٌ عن قتادة أنَّ الأوَّلَ منهما الجبل الذي عليه دمشق، والثاني الجبل الذي عليه بيت المقدس[6]، ويقال ـ على ما أخرج سعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن أبي حبيب الحارث بن محمد ـ للأوَّل: طور تينا، وللثاني: طور زيتا[7]. وذلك لأنَّهما منبتا التين والزيتون. وكأنَّ الكلامَ على هذا إمَّا على حذف مضاف، أو على التجوُّز بأن يكون قد تجوَّزَ بالتين والزيتون عن منبتيهما، وشاع ذلك.

---

(١) في الأصل: للعقبة.
(٢) في (م): واحدته.
(٣) كذا في الأصل و(م)، والذي في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٤٠ أن واحدها: السينينة. ومثله في معجم ما استعجم ٣/ ٨٩٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٦٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩، والبحر المحيط ٨/ ٤٩٠، والدر المصون ١١/ ٥١.
(٤) تنظر هذه الآثار في الدر المنثور ٦/ ٣٦٦، وأخرج قول عكرمة الطبري في تفسيره ٢٤/ ٥٠٦، والزيادة المذكورة وردت في الدر المنثور في خبر ابن عباس أيضاً.
(٥) الدر المنثور ٦/ ٣٦٦، وهو في الطبري ٢٤/ ٥٠٧، وتاريخ ابن عساكر ١/ ٢١٦.
(٦) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٣٨٢، والطبري ٢٤/ ٥٠٣.
(٧) الدر المنثور ٦/ ٣٦٦.

وأخرج عبد بن حميد عن أبي عبد الله الفارسيّ أنَّ التينَ مسجدُ دمشق، والزيتونَ بيتُ المقدس[(١)]. ولعل إطلاقهما عليهما لأنَّ فيهما شجراً من جنسهما.

وعن كعب الأحبار أنَّهما دمشق وإيلياء بلدُ بيت المقدس. وكأنَّ تسميتها بذلك من تسمية المحلِّ باسم الحالِّ فيه.

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب أنَّهما مسجدُ أصحاب الكهف، ومسجد إيلياء.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس أنَّهما مسجدُ نوحٍ عليه السلام الذي بُني على الجودي، وبيت المقدس[(٢)].

وعن شهر بن حوشب أنَّهما الكوفة والشام.

وتعقِّب بأنَّ الكوفة بلدةٌ إسلاميَّة مصَّرها سعدُ بن أبي وقاص في أيّام أمير المؤمنين عمر ﷺ، ولعلَّه أراد الأرض التي تسمَّى اليوم بالكوفة، فقد كانت ـ كما في «القاموس»[(٣)] وغيره ـ منزلَ نوحٍ عليه السلام.

وقال بعضهم: إنَّ الكوفة بلدٌ كانت قبلُ، لكنَّها خربت، فجدِّدت[(٤)] أيامَ عمر ﷺ، وهو المراد بكونها إسلامية[(٥)].

وقيل: هما جبال ما بين حُلْوان وهَمَذان[(٦)] وجبال الشام؛ لأنَّهما منابتهما. وأيًّا ما كان، فالمتعاطفات متناسبةٌ في أنَّ المرادَ بها أماكن مخصوصةٌ.

---

(١) تنظر هذه الأخبار في الدر المنثور ٦/ ٣٦٦، وخبر ابن عباس في تفسير الطبري ٢٤/ ٥٠٤.
(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٦٥، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٥٠٤.
(٣) مادة (كوف).
(٤) بعدها في (م): في.
(٥) قوله: وهو المراد بكونها إسلامية. ليس في (م).
(٦) في الأصل: هَمَدان. والمثبت هو الصواب، أمَّا هَمْدان، بسكون الميم وبالمهملة، فهي قبيلة باليمن، وجميع ما في الصحابة والرواة ومصنفات الحديث فهو نسبة لهذه القبيلة، أما هَمَذان البلد، فلا ينسب إليها أحد من الرواة لا في الصحيحين ولا في غيرهما من كتب الحديثِ الستّة. انظر القاموس (همد) و(همذ) وما جاء في هامش الموضعين.

وقيل: المراد بهما الشجران المعروفان، وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصحَّحه عن ابن عباس أنَّه قال: التين والزيتون: الفاكهةُ التي يأكلُها الناس[١]. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن مجاهد نحوه[٢]. وحكاه في «البحر» أيضاً عن إبراهيم النخعيّ وعطاء بن أبي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبيّ وعكرمة والحسن[٣].

وخصَّهما الله تعالى ـ على هذا القول ـ بالإقسام بهما من بين الثمار؛ لاختصاصهما بخواصَّ جليلة، فإنَّ التينَ فاكهةٌ طيِّبةٌ[٤] لا فضلَ لها، وغذاءٌ لطيفٌ سريعُ الانهضام، بل قيل: إنَّه أصحُّ الفواكه غذاءً إذا أُكل على الخلاء ولم يُتبَع بشيء، وهو دواءٌ كثيرُ النفع؛ يفتح السدد، ويقوي الكبد، ويذهبُ الطحالَ، وعسرَ البول، وهزال الكلى والخفقان، والربوَ، وعسر النَّفس، والسعال، وأوجاعَ الصدر، وخشونة القصبة، إلى غير ذلك.

وعن علي الرضا بن موسى الكاظم ـ على جدِّهما وعليهما السلام ـ أنَّه يزيلُ نكهةَ الفم، ويطوِّلُ الشعرَ، وهو أمانٌ من الفالج.

وروى أبو ذرٍّ أنَّه أهديَ إلى النبيِّ ﷺ طبقٌ من تين، فأكلَ منه وقال لأصحابه: «كلوا، فلو قلت: إنَّ فاكهةً نزلت من الجنة لقلت هذه؛ لأنَّ فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فإنَّها تقطعُ البواسير، وتنفع من النِّقْرِس»[٥].

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٦٦، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٢/ ٢٥٨.
(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٦٦، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٤/ ٥٠٢.
(٣) البحر المحيط ٨/ ٤٨٩.
(٤) جاء في هامش الأصل ما نصه: وهو معتدلٌ في الحرارة، رطب في الثالثة، أو هو حارٌّ في الأولى فإذا جفَّ كان حارًا في الثانية رطباً في الأولى. اهـ منه.
(٥) الوسيط ٤/ ٥٢٣، والفردوس بمأثور الخطاب (٤٧١٦)، والكشاف ٤/ ٢٦٨، وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص١٨٦: أخرجه أبو نعيم في الطب، والثعلبيُّ من حديث أبي ذر، وفي إسناده من لا يعرف. اهـ. والعجم بفتحتين: النوى، وكلُّ ما كان في جوف مأكول كالزبيب ونحوه. مختار الصحاح (عجم).

ولم أقف للمحدِّثين على شيءٍ في هذا الحديث، لكن قال داود الطبيب[(١)] بعد سرد نبذةٍ من خواصِّ التين: وفي نفعه من البواسير حديثٌ حسن، وذكرَ أنَّ نفعه من النِّقْرِس إذا دُقَّ مع دقيق الشعير أو القمح أو الحُلْبَة[(٢)]، وذكر أنَّه حينئذٍ ينفعُ من الأورام الغليظة وأوجاع المفاصل، وله مفرداً ومركّباً خواصُّ أخرى كثيرةٌ.

وكذا لشجرته كما لا يخفى على من راجع كتب الطب. وما أشبهَ شجرتَه بمُؤْثِرٍ على نفسه، وبِكَرِيمٍ يفعلُ ولا يقول.

وأمَّا الزيتونُ فهو إدامٌ ودواءٌ وفاكهةٌ[(٣)]، فيما قيل، وقالوا: إنَّ المكلَّس منه لا شيءَ مثلُه في الهضم والتسمين وتقويةِ الأعضاء، ويكفيه فضلاً دهنه الذي عمَّ الاصطباح به في المساجد ونحوها، مع ما فيه من المنافع، كتحسين الألوان، وتصفية الأخلاط، وشدِّ الأعصاب، وكفتح السدد، وإخراج الدود، والإدرار، وتفتيتِ الحصى، وإصلاح الكلى، شرباً بالماء الحارِّ، وكقلع البياض، وتقوية البصر اكتحالاً، إلى غير ذلك.

وشجرته هي[(٤)] الشجرة المباركة المشهودُ لها في التنزيل، وإذا تتبعتَ خواصَّ أجزائها ظهر لك أنَّها أجدى من تفاريق العصا.

وعن معاذ بن جبل أنَّه مرَّ بشجرةِ زيتون، فأخذَ منها سواكاً، فاستاكَ به، وقال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «نعم السِّواكُ الزيتون من الشجرة المباركة، يطيِّب الفمَ، ويَذهبُ بالحَفْرة»، وسمعته عليه الصلاة والسلام يقول: «هو سواكي وسواكُ الأنبياء عليهم السلام قبلي»[(٥)].

---

(١) هو داود بن عمر الأنطاكي نزيل القاهرة، له كتب في الطب منها: استقصاء الملل ومشافي الأمراض والعلل، وبغية المحتاج إلى معرفة أصول الطب والعلاج، وكفاية المحتاج في علم العلاج، وغيرها. توفي سنة (١٠٠٨هـ). هدية العارفين ١/ ٣٦٢. وكلامه في كتابه تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب ١/ ١٠٠.

(٢) الحلبة: نبات عشبيٌّ من فصيلة القرنيات، يؤكل ويعالج به. المعجم الوسيط (حلبَ).

(٣) جاء في هامش الأصل ما نصه: وهو إن لم ينضج فبارد يابس في الثانية، وإن نضج فكورقه حار يابس في الثانية. اهـ منه.

(٤) في (م): من.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٧٨)، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص١٨٦: أخرجه =

وقال بعضهم: إنَّ تفسيرهما بما ذُكر هو الصحيح، وكأن المراد عليه تينُ تلك الأماكن المقدسة وزيتونُها. والغرضُ من القَسَم بتلك الأشياء الإبانةُ عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها[1] من الخير والبركة، ويرجعُ إلى القَسَم بالأرض المباركة وبالبلد الأمين، وفيه رمزٌ إلى فضلِ البلد، كما يشعر به كلامُ صاحب «الكشاف»[2]، وبيَّن ذلك في «الكشف» بقوله: وذلك أنَّه فصَّل بَركتي الأرض المقدسة الدنيوية والدينية بذكر الشجرتين أو ثمرتيهما، والطورِ الذي نودي منه موسى عليه السلام، ونابَ المجموعُ منابَ: والأرض المباركة، على سبيل الكناية، فظهر التناسبُ في العطف على وجهٍ بيِّنٍ، إذ عطفُ البلد على مجموع الثلاثة؛ لأنَّها كالفرد بهذا الاعتبار، كأنَّه قيل: والأرض التي باركنا فيها ديناً ودُنيا، والبلدِ الآمنِ مَنْ دخلَه في الدارين، وذلك بركةٌ يتضاءلُ دونَها كلُّ بركةٍ[3]. ويتضمَّن ذلك أنَّ شرفَ تلك البقاع بمناجاة موسى عليه السلام ربَّه عزَّ وجلَّ أيَّاماً معدودةً، وكم قد[4] نوجيت في البلد الأمين. ثم قال: والحملُ على الظاهر ـ أريدَ المنابتُ أو الشَّجَران ـ يفوته المناسبةُ بين الأوَّلَين والبلدِ الأمين؛ لأنَّ مناسبةَ طورسينين للبلد غيرُ مناسبته لهما، والكلام مسوقٌ للأوَّل. انتهى. فتأمَّل فإنَّه دقيقٌ.

وأيًّا ما كان فجوابُ القسم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ إلخ، وأريدَ بـ «الإنسان» الجنس، فهو شاملٌ للمؤمن والكافر، لا مخصوصٌ بالثاني، واستدلَّ عليه بصحَّة الاستثناء، وأنَّ الأصلَ فيه الاتصال.

وقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في موضع الحال من «الإنسان» أي: كائناً في تقويم أحسنِ تقويم، والتقويم: التثقيفُ والتعديل، وهو فعلُ الله عزَّ وجلَّ، فمعنى

= الطبراني في الأوسط والثعلبي من حديث البراء بن عازب، وإسناده واه. اهـ. والحفر: صفرة تعلو الأسنان. القاموس (حفر).

(١) في الأصل: منها.

(٢) ٤/ ٢٦٩.

(٣) تكرر بعدها في (م) قوله: يتضاءل دونها كل بركة.

(٤) لفظة: قد. ليست في (م).

كون الإنسان كائناً في ذلك ـ على ما قيل ـ أنَّه ملتبسٌ به، نظير قولك: فلانٌ في رضى زيد، بمعنى أنَّه مرضيٌّ عنه.

وقال الخفاجيُّ[1]: هو مؤوَّل بمعنى القوام أو المقوَّم، أو فيه[2] مضاف مقدَّر، أي: قوامِ أحسن تقويم، أو «في» زائدة، وما بعدَها في موضع المفعول المطلق، وقد نابَ فيه عن المصدر صفتُه، والتقدير: قوَّمناه تقويماً أحسنَ تقويم. والمرادُ بذلك جَعْلُه على أحسن ما يكون صورةً ومعنًى، فيشمل ما له من انتصاب القامة، وحُسْن الصورة، والإحساس، وجودة العقل، وغير ذلك.

ومن أمْعَنَ نظرَه في أمره، وأجال فكره في دقائق ظاهره وسرِّه؛ رآه ـ كما قال بعض الأجلَّةِ ـ مجمع بَحْرَي[3] الغيب والشهادة، ومطلعَ نيِّري فَلَكَي الإفادة والاستفادة، والنسخةَ الجامعة لما في رسائل إخوان الصفا وسائر المتون، والشارح بسطورٍ طروسَ العجائب الإلهية المودعةِ فيه لِمَا كان وسيكون، وظهرَ له صدقُ ما قيل ـ ونسب لعليٍّ كرم الله تعالى وجهه ـ:

دواؤك فيك ولا تشعر ... وداؤك منك وما تبصرُ
وتزعم أنَّك جرم صغيرٌ ... وفيك انطوى العالمُ الأكبرُ[4]

ومما يدلُّ على أحسنيَّة تقويمه أنَّ الله تعالى رَسَم فيه من الصفات ما تذكِّره صفاتَه عزَّ وجلَّ، وتدلُّه عليها، فجعله عالِماً، مريداً، قادراً، إلى غير ذلك. وقال[5]: «تخلَّقوا بأخلاق الله»[6] لئلَّا يُتوهَّمَ أنَّ ما للسيِّد على العبد حرام، ويكفي في هذا الباب ـ وهو القول الفصل ـ أنَّ الله تعالى خلقَه بيديه، وأمرَ سبحانه ملائكته

---

(١) في حاشيته ٨/ ٣٧٧.
(٢) في الأصل و(م): وفيه، والمثبت من حاشية الشهاب.
(٣) في (م): مجرى.
(٤) سلفا ١/ ٢٧٢-٢٧٣.
(٥) بعدها في الأصل و(م): تعالى، وهو خطأ واضح.
(٦) روي على أنه حديث عن النبي ﷺ، ولا يعرف له أصل في شيء من كتب السنة. ينظر مدارج السالكين لابن القيم ٣/ ٢٤١، وشرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٨١.

عليهم السلام بالسجود له، وهم المكرمون لديه، وجاء: «إنَّ الله تعالى خلقَ آدم على صورته»، وفي رواية: «على صورة الرحمن»[1]، وهي تأبى احتمالَ عود الضمير على آدم على معنى خلقِه غير متنقِّلٍ في الأطوار كَبَنِيْه.

ولكونه النسخةَ الجامعة قال يحيى بن معاذ الرازي: مَن عرف نفسه فقد عرف ربَّه. والناسُ يزعمونه حديثاً، وليس ـ كما قال النوويُّ ـ بثابت[2].

وعن يحيى بن أكثم وبعض الحنفيَّة أنَّهما أفتيَا من قال لزوجته: إن لم تكوني أحسنَ من القمر فأنت طالق، بعدم وقوع الطلاق، واستدلَّا بهذه الآية في قصَّةٍ مشهورةٍ[3]، وللشعراء في تفضيل معشوقيهم على القمر ليلةَ تمِّه ما يضيقُ عنه نطاقُ الحصر. والحقُّ أنَّ الفرقَ مثلُ الصبح ظاهر.

و«ثمَّ» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ للتراخي الزمانيِّ أو الرتبيِّ، والردُّ إمَّا بمعنى الجعل، فيَنصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، كما في قوله:

فـردَّ شـعـورهـنَّ الـسـودَ بـيـضـاً ... وردَّ وجـوهـهـنَّ الـبـيـضَ سُـوْدا[4]

ف «أسفل» مفعولٌ ثانٍ له هنا، والمعنى: ثمَّ جعلناه من أهل النار الذين هم أقبحُ من كلِّ قبيحٍ وأسفلُ من كلِّ سافل خلقاً وتركيباً؛ لعدم جريه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات.

وجُوِّزَ أنْ يكون المرادُ بالردِّ تغييرَ الحال، فهو متعدٍّ لواحد، و«أسفل» حالٌ من المفعول، أي: رددناه حال كونه أقبحَ من قَبُح صورةً وأشوهَه خلقةً، وهم أصحاب النار.

وأن يكونَ الردُّ بمعناه المعروف، و«أسفل» منصوبٌ بنزع الخافض، وجُعِل الأسفلُ عليه صفةً لمكان، وأريد بالسافلين الأمكنةُ السافلة، أي: رددناه إلى مكانٍ

---

(١) سلفت الروايتان ٢/ ٩٠-٩١.
(٢) فتاوى النووي ص٢٤٨.
(٣) تنظر هذه القصة في الفرج بعد الشدة للتنوخي ٤/ ٣٧٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٤٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٦٩.
(٤) البيت لعبد الله بن الزبير الأسدي، وسلف ٤/ ٣٥٨.

أسفل الأمكنة السافلة، وهو جهنم، أو الدرك الأسفل من النار. ويعكِّر على هذا جمعُها جمعَ العقلاء. وكونُه للفاصلة أو التنزيلِ منزلةَ العقلاء ليس مما يهتشُّ له، ولعلَّ الأَوْلَى على ذلك أن يُراد: إلى أسفل مَن سَفُلَ مِن أهل الدركات.

وقال عكرمة والضَّحَّاك والنخعيُّ، وقتادة في رواية: المرادُ بذلك رَدُّه إلى الهرم وضَعْفِ القوى الظاهرة والباطنة، أي: ثمَّ رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفلَ من سفل في حسن الصورة والشكل، حيث نكسناه في خلقه، فقوّس ظهرُه بعد اعتداله، وابيضَّ شعرُه بعد سواده، وتشنَّن جلده وكان بضًّا، وكَلَّ سمعُه وبصره وكانا حديدين، وتغيَّر كلُّ شيءٍ منه، فمشيه دليف، وصوته خفات، وقوَّته ضعف، وشهامته خَرَف. والآيةُ على هذا نظير قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾(١) [الحج: ٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨] وهو باعتبار الجنس، فلا يلزمُ أن يكون كلُّ إنسانٍ(٢) كذلك. وفي إعراب «أسفل» قيل الأوجُه السابقة، والأوجَه منها غيرُ خفيٍّ. ثمَّ المتبادر من السياق الإشارةُ إلى حال الكافر يوم القيامة وأنَّه يكونُ على أقبح صورةٍ وأبشعها بعد أنْ كان على أحسن صورةٍ وأبدعِها؛ لعدم شكره تلك النعمة وعملِه بموجبها، وإرادةُ ما ذكر لا يلائمه، ومن هنا قيل: إنَّه خلافُ الظاهر، والظاهرُ ما لاءم ذلك، كما هو المرويُّ عن الحسن ومجاهد وأبي العالية وابن زيد وقتادة أيضاً(٣).

وقرأ عبد الله: «السافلين» مقروناً بـ «أل»(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ على ما تقدَّم استثناءٌ متَّصلٌ من ضمير «رددناه» العائد على الإنسان، فإنَّه في معنى الجمع، فالمؤمنون لا يُرَدُّون أسفلَ سافلين يومَ القيامة، ولا تقبح صورُهم، بل يزدادون بهجةً إلى بهجتهم،

---

(١) وقع في الأصل و(م): ثم يردُّ إلى أرذل العمر.

(٢) في (م): الإنسان.

(٣) وهو قولهم: أسفل سافلين في النار على كفره. البحر ٨/ ٤٩٠.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٧، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠٤، والكشاف ٤/ ٢٦٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٠، والبحر المحيط ٨/ ٤٩٠.

وحسناً إلى حسنهم، وقولُه تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ـ أي: غير مقطوعٍ، أو غيرُ ممنونٍ به عليهم ـ مقرِّرٌ لما يفيده الاستثناءُ من خروجهم عن حكم الردِّ، ومبيِّنٌ لكيفيَّة حالهم.

وعلى الأخير[1] الاستثناء منقطع، والموصولُ مبتدأ، وجملة «لهم أجر» خبرُه، والفاء لتضمُّن المبتدأ معنى الشرط، والكلامُ على معنى الاستدراك، كأنَّه قيل: لكن الذين آمنوا لهم أجرٌ.. إلخ، وهو لدفع ما يتوهَّم من أنَّ التساوي في أرذل العمر يقتضي التساوي في غيره، فلا يَرِدُ أنَّه: كيف يكون منقطعاً، والمؤمنون داخلون في المردودين إلى أرذل العمر، غيرُ مخالفين لغيرهم في الحكم؟

وقال بعض المحققين: الانقطاع لأنَّه لم يقصد إخراجهم من الحكم، وهو مدار الاتصال والانقطاع ـ كما صُرِّح به في الأصول ـ لا الخروج والدخول، فلا تغفل.

وحمل غيرُ واحدٍ هؤلاء المؤمنين على الصالحين من الهرمى، كأنَّه قيل: لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى لهم ثوابٌ دائمٌ غيرُ منقطع، أو غير ممنون به عليهم؛ لصبرهم على ما ابتلوا به من الهرم والشيخوخة المانعَين إيَّاهم عن النهوض لأداء وظائفهم من العبادة. أخرج أحمد والبخاريُّ وابن حبان عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرضَ العبدُ أو سافر كتبَ الله تعالى له من الأجر مثلَ ما كان يعملُ صحيحاً مقيماً»[2]. وفي روايةٍ عنه: ثم قرأ ﷺ: (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)[3].

أخرج الطبرانيُّ عن شدَّاد بن أوس قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى يقول: إذا ابتليتُ عبداً من عبادي مؤمناً، فحمدني على ما ابتليته، فإنَّه يقوم من مضجعه كيوم ولدته أمُّه مِن الخطايا، ويقول الربُّ عزَّ وجلَّ: إنِّي أنا

(١) يعني على القول بأن المراد الردُّ إلى الهرم وضعف القوى.
(٢) صحيح البخاري (٢٩٩٦)، ومسند أحمد (١٩٦٧٩)، وصحيح ابن حبان (٢٩٢٩).
(٣) أخرجها ابن مردويه، كما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٦٧.

قيَّدتُ عبدي هذا وابتليته، فأَجْرُوا له ما كنتم تُجْرُون له قبل ذلك وهو صحيح»[١].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنَّه قال في الآية: إذا كَبِر العبد، وضَعُف عن العمل، كُتِب له أجرُ ما كان يعملُ في شبيبته[٢].

ومن الناس مَن حَمَلَهم على قرَّاء القرآن، وجعل الاستثناءَ متَّصلاً مُخْرِجاً لهم عن حكم الردِّ إلى أرذل العمر، بناءً على ما أخرجَ الحاكمُ وصححه والبيهقي في «الشعب» عن الحبر قال: مَن قرأ القرآن لم يردَّ إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: (ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا) قال: إلَّا الذين قرؤوا القرآن[٣].

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن عكرمة نحوه[٤]، وفيه أنَّه لا ينزل تلك المنزلةَ ـ يعني الهرم كي لا يعلم من بعد علمٍ شيئاً ـ أحدٌ من قرَّاء القرآن.

ولا يخفى أنَّ تخصيصَ «الذين آمنوا» بما خصص به خلافُ الظاهر، وفي كون أحدٍ من القرَّاء لا يردُّ إلى أرذل العمر توقُّفٌ فليتتبع.

والخطابُ في قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ عند الجمهور[٥] للإنسان[٦]، على طريقة الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت، والفاء لتفريع التوبيخ عن البيان السابق، والباء للسببيَّة، والمراد بالدين الجزاءُ بعدَ البعث، أي: فما يجعلك كاذباً بسبب الجزاء وإنكاره بعد هذا الدليل. والمعنى: إنَّ خلقَ الإنسان من نطفةٍ، وتقويمَه على وجهٍ يبهرُ الأذهان ويَضيقُ عنه نطاقُ البيان، أو هذا مع

(١) المعجم الكبير (٧١٣٦)، والأوسط (٤٧٠٩)، وأخرجه أيضاً أحمد (١٧١١٨)، وتنظر شواهده في حاشية المسند.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٦٧.

(٣) المستدرك ٢/ ٥٢٨-٥٢٩، وشعب الإيمان (٢٧٠٦).

(٤) الدر المنثور ٦/ ٣٦٧، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٥١٧.

(٥) جاء في هامش الأصل ما نصه: حتى إنَّ مجاهداً سُئل: هل الخطاب في ذلك للنبيِّ ﷺ، فقال: معاذ الله تعالى، إنَّما عَنى به الإنسان. أخرجه جماعة. اهـ منه.

(٦) جاء في هامش الأصل ما نصه: أي باعتبار الجنس، فلا تغفل. اهـ منه.

تحويله من حالٍ إلى حال، من أوضح الدلائل على قدرة الله عزَّ وجلَّ على البعث والجزاء، فأيُّ شيءٍ يضطرك أيُّها الإنسان بعد هذا الدليل القاطع إلى أنْ تكون كاذباً بسبب تكذيبه، فإنَّ كلَّ مكذِّبٍ بالحقِّ فهو كاذب.

وقال قتادة والأخفش والفرَّاء: الخطابُ للرسول ﷺ(1)، أي: فأيُّ شيءٍ يكذِّبُك بالجزاء بعد ظهور دليله، وهو من باب الإلهاب والتعريض بالمكذِّبين، أي: إنَّه لا يكذِّبُك شيءٌ ما بعدَ هذا البيان بالجزاء، لا كهؤلاء الذين لا يبالون بآيات الله تعالى، ولا يرفعون بها رأساً، فالاستفهام لنفي التكذيب وإفادةِ أنَّه عليه الصلاة والسلام - لاستمرارِ الدلائل وتعاضُدِها - مستمرٌّ على ما هو عليه من عدم التكذيب. وفيه من اللطف ما ليس في الأوَّل.

وجُوِّزَ على هذا الوجه كونُ الباء بمعنى «في»، وكونها للسببية، وتقديرُ مضاف عليهما، والمعنى: أيُّ شيء ينسبُك إلى الكذب في إخبارك بالجزاء، أو بسبب إخبارك به، بعد هذا الدليل.

وكونُها صلةَ التكذيب، و«الدين» بمعناه، والمعنى: أيُّ شيءٍ يجعلُك مكذِّباً بدين الإسلام، وروي هذا عن مجاهد وقتادة، والاستفهام على ما سمعت. وجُوِّزَ كونُ الدين بمعناه على الوجه الأول أيضاً.

وبعضُ من ذهب إلى كون الخطاب لسيِّد المخاطبين ﷺ جَعَل «ما» بمعنى «مَن»؛ لأنَّ المعنى عليه أظهر.

وضُعِّف بأنَّه خلافُ المعروف في «ما»، فلا ينبغي ارتكابُه مع صحَّة بقائها على المعروف فيها.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ أي: أليس الذي فعل ما ذُكِر بأحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً، حتى يتوهَّم عدم الإعادة والجزاء، وحيثُ استحال عدم كونه سبحانه أحكمَ الحاكمين تعيَّن الإعادة والجزاء. والجملة تقريرٌ لما قبلَها.

(1) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٧، وللأخفش ٢/ ٧٤٠، والبحر ٨/ ٤٩٠، وحاشية الشهاب ٨/ ٣٧٧.

وقيل: الحكم بمعنى القضاء، فهي وعيدٌ للكفار، وأنه عزَّ وجلَّ يحكمُ عليهم بما هم أهلُه من العذاب.

وأيًّاما كان، فالاستفهام على ما قيل: تقريرٌ بما بعد النفي، ويدلُّ على ذلك ما أخرجه الترمذيُّ وأبو داود وابنُ مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم «والتين والزيتون» فانتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»(١).

وجاء في بعض الروايات أنَّه ﷺ كان يقول: إذا أتى على هذه الآية: «سبحانك فبلى»(٢)، وقد تقدَّم ما يتعلَّق بهذا في تفسير سورة «لا أقسم بيوم القيامة» فتذكَّر.

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٤٧)، وسنن أبي داود (٨٨٧)، وأخرجه أيضاً أحمد (٧٣٩١)، وهو من طريق إسماعيل بن أمية، عن أعرابي، عن أبي هريرة. قال الترمذي: هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يسمى. اهـ، وقال أبو زرعة كما في العلل لابن أبي حاتم ٢/ ٩٠: الصحيح: إسماعيل بن أمية عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبي هريرة موقوفاً.

(٢) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٦/ ٣٦٧ عن صالح أبي الخليل عن النبي ﷺ، وهو مرسل. وصالح هو ابن أبي مريم الضُّبعي مولاهم، البصري، روى عن أبي قتادة الأنصاري وعن أبي موسى مرسلاً. سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٧٩.